— ٣ —

وإذا ما انتهى بنا الحوار الأول إلى ما انتهى إليه ، وكان الأمر فيه متصلا بنشأة النثر الفنى فى الجاهلية ، كان علينا أن نتابع فى الحوار الثانى حركة النثر الفنى ما بين الجاهلية والإسلام ، حيث كانت في ضفتها الجاهلية غير مرتبطة بالنص القرآنى على نحو ماتوصلنا إليه في الفصل الأول لانتقالنا بهذا النص إلى عصر جديد،وأما فى ضفتها الإسلامية فهى مرتبطة به من غير شك ، إذ أن انبثاق هذه الضفة وامتداد ساحلها لم يكن ليكون بدونه ، أى بدون نص لم يتسم إلا بالإعجاز من دون غيره .

ومن هنا مضى الحوار في نقاش صور النثر فى العصر الجاهلى على نحو ما بدت أمام الدكتور زكى مبارك . وهي إذ بدت له لم تبد إلا فى صورة مكبرة مضخمة تضخيماً شديداً ألجأت إليها نوازع من المبالغة والتطرف ، تولدت عنها رؤية الثقافة العربية فى الجاهلية ثقافة مكتوبة مدونة مجموعة فى مجموعات كثيرة جيدة ، دون فيها الشعر وكذلك النثر ثم الخطب والأمثال . ومضى الدكتور زكى مبارك ليرى أن هناك كتباً أدبية في الجاهلية كانت تكتب ، وأن هناك رقياً عقلياً يبعد عن الجاهليين صورة الحياة الأولية التى ينظر من خلالها الباحثون إليهم ولايرونهم يعيشون فى سواها .

ولم يشأ الرأى فى هذا الحوار — على أي حال — أن يسم العصر الجاهلى بالأولية المطلقة ، أو أن ينظر إلى العرب فيه نظرة مجحفة ترميهم بالتخلف